المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

قراءة جمالية في قصيدة " وبقيتَ وحدك في المطار"
للشاعر عبد الله عيسى لحيلح

An Aesthetic Reading in a Poem "And you stayed alone at the airport"
by the poet Abdullah Issa lahilah

مريم زياني
مخبر الشعريات وتحليل الخطاب
جامعة باجي مختار، عنابة، (الجزائر)
meriem.ziani@univ-annaba.dz
فتيحة سريدي
جامعة باجي مختار، عنابة، (الجزائر)
fatiha.seridi@univ-annaba.dz

تاريخ الإرسال: 2024/05/30 **تاريخ القبول:2025/02/07** **تاريخ النشر : 2025/03/31**

المؤلف المراسل : مريم زياني meriem.ziani@univ-annaba.dz

الملخص:

القضية الفلسطينيّة جرح دامٍ لكلّ شاعر عربي ملتزم، وقضيته التي يكتبها بحروف سرمديّة، ولكلّ شاعر طريقته في البوح والتّعبير عنها، وهي اللبنة الجوهريّة في الشّعر الجزائريّ عموما، وشعر "عيسى لحيلح" خصوصا، لذا فهدف هذه الورقة البحثية هو إسدال السّتار عن مواطن الجمال في قصيدته "وبقيت وحدك في المطار" وكيفية تشكيله من طرف الشاعر، الذي سعى إلى تصوير حالة الحصار التي يعيشها الفلسطينيّ ومدى معاناته، متوسّلا من الصّور الشّعرية أبلغها وأكثرها تصويرا وتعبيرا عن هذا الواقع المرير ووطأته على نفسيّة الشّاعر المنكسر، فجاءت صوره كثيفة غزيرة مشحونة بالرموز والدّلالات، مُنتهكا اللغة العادية ومحدثا بها فجوات كي يخلق لغة شعريّة أكثر تعبيرا عن المأساة وتأثيرا وإيحاءً، متخذا من المكان شكلا جماليّا، ورحما تتكون فيه جماليات خطابه، مانحا إياه أبعادا نفسية وايديولوجية وقومية.

الكلمات المفتاحية: جماليات، صورة، لغة، مكان، لحيلح.

Abstract

The Palestinian case is the bloody wound of every committed Arab poet, and his case, which he writes in everlasting letters, and each poet has his own way of speaking and expressing it, which is the fundamental building block in Algerian poetry in general, and the poetry of "Aissa Lhileh" in particular, so the goal of this research paper is to draw the curtain on the beauties of his poem "and stayed alone at the airport" and how it was formed by the poet, who sought to portray the state of siege that the Palestinian is living. Begging from the poetic images, he informed her and the most graphic and expressive of this bitter reality and its impact on the psyche of the broken poet, so came his dense, copious images charged with symbols and semantics, violating the ordinary language and creating gaps in it in order to

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

create a poetic language more expressive of tragedy, influence and inspiration, taking from the place.

***Keywords*:**
Aesthetics, image, language, place, Lhileh.

1. مقدمة :

كان الخطاب الشّعري الجزائري ملاذا للشاعر الهارب من العتمة ومن واقعه المتشظّي، وكان عالمه الموازي الذي يصرخ فيه ألما وضياعا، باحثا فيه عن هويته وذاته، فتهادت هذه النّصوص ما بين الحضور والغياب، وتحت سلطة الصّمت والإفصاح، وُلدت نصوص عصيّة وأبيّة من رحم مأساة الشاعر التي يعيشها، فوَضعت الشّعر في دائرة الاتّهام وجعلت القارئ ينتشي بها ويتشارك معه هذه الآلام، وراح يملأ فجوات تلك النّصوص بالعديد من القراءات والتأويلات، ويتأثر وينتشي بها ويتذوق فنيّاتها، لتتحقّق غايةٌ هي الجمال في النّص الشّعري.

لقد استحوذ الشّعر الجزائري المعاصر على مساحة فسيحة في ساحة الدراسات النّقدية، وأغوى العديد من النّقاد والباحثين، لسبر أغواره، والكشف عن كنهه، والتّنقيب عن تجلياته الجماليّة والابداعية، والشّاعر الجزائري "عبد الله عيسى لحيلح" من أعلام الشعر الجزائري المعاصر، الذي تنضح نصوصه بروح العصر وتحمل في طياتها مظاهر التّجديد والتّجريب، ولا تخلو نصوصه من الأصالة والعراقة، وتطبعها الهوية والذاكرة.

ومن هنا نجد أنفسنا أمام هذا التساؤل: كيف تمكّن الشّاعر "عيسى لحيلح" من تحقيق الغاية الجماليّة في قصيدته "وبقيت وحدك في المطار"؟ وهل يمكن أن ترتبط هذه الجماليات بخلفيات إيديولوجية؟

ليس من السّهل تحديد مفهوم شامل ومحدّد للجمال لأنّه موضوع مترامي الأطراف، متشعّب الجوانب، وله جذور في العديد من المجالات، لذا فالآراء والنظريات حوله تختلف وتتعدّد، فظلّ موضوعا يطرح دائما قضايا وإشكاليات في ساحة البحث، لذلك تسعى هذه الدّراسة إلى إزاحة السّتار عن مفهوم جماليات الخطاب الشّعري المعاصر وتجليّاتها في قصيدة "وبقيت وحدك في المطار" للشاعر الجزائريّ "عبد الله عيسى لحيلح" والتي تتمثل في: جمالية الصورة الشعرية، جمالية اللغة الشعرية وجمالية المكان.

ولعلّ كلّ دراسة تحتاج إلى منهج وآليات للوصول إلى الأهداف التي ينشدها كل باحث، لذلك اتبعنا المنهج الوصفي وتقنيات التّحليل، لوصف مظاهر الجمال في خطاب " عبد الله عيسى لحيلح " وتحليلها وكشف مواطن الجمال فيها وطريقة توظيفها من قبل الشاعر وتحديد الدّلالات التي تحملها والأفكار التي يودّ الشاعر إظهارها للقارئ.

2. الصورة الشّعرية:

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

لقد أحدث الشّعراء الجزائريون المعاصرون رجّة في المعايير الجماليّة الشّعرية، وكسروا النّماذج التقليدية المعهودة، وساروا مع ركب التّجديد وموجة الحداثة في المشرق العربي، فكانت صورهم الشّعرية بعثا جديدا للشّعر الجزائري، يسمو بالشّاعر ويحلّق بالقارئ إلى الذاكرة والماضي السّحيق، ويجمع بين عبق الهويّة والتاريخ، ويتناص مع النّصوص الدينيّة ويستحضر الشخصيات الأسطوريّة ويتداخل مع المسرح والسّرد وأجناس وفنون أخرى، وينحرف وينزاح عن اللغة العادية والمألوفة وينتهك قواعدها النحوية والصرفية حتى يشكل قوالب فنّية جديدة، وأشكال تعبيريّة تجريبيّة وتصويرية وفكريّة مختلفة ومغايرة وبعيدة عن النّمطية، كل هذا لتخييب أفق القارئ، ومحاولة التّأثير به.

فالصّورة الشّعرية أصبحت من أهمّ عناصر القصيدة الجوهرية، التّي تتواشج فيها أفكار الشّاعر مع أحاسيسه لتتجسّد أشكال جديدة للتعبير " لذلك يكون التّعبير بالصورة الشّعرية نوعا من الارتقاء باللغة "[1]

وأهم عنصر تعتمد عليه الصورة لتشكيل لغة جديدة هو الخيال، الذي يحمل نبض الشّاعر ومشاعره وخواطره وأفكاره ويصور للقارئ نظرته تجاه الكون، ويعكس أيديولوجيات الشاعر، فيزود التّجربة الشّعرية بطاقات إيحائيّة ودلالات غزيرة، فتجمع الصورة بين عالمين بواسطة الخيال هما عالم الواقع وعالم الشاعر " فلا يرتبط الفنان بنسق الأشياء كما هي واقعة في الحياة، بل يلجأ إلى أغوار نفسه البعيدة "[2].

يعدّ الخيال عنصرا فعالا في تشكيل الصورة الشعرية، فقد نال أهمية بالغة من الدراسة عند البلاغيين القدامى والمحدثين على حدّ سواء، وكذلك النقاد الغرب الذين أسالوا الكثير من الحبر في دراساتهم لتوضيح العلاقة بين الخيال والصورة الشّعرية وإبراز دوره في تشكيلها " فهي أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامّة التي يمارس بها ومن خلالها فاعليته ونشاطه "[3]

فالخيال جسر رابط بين جزئيات الصورة الشعرية، حيث يجعل منها لوحة فنية متناسقة ومنسجمة الألوان، ويجعل منها ملكة في يد الشاعر و " طريقة خاصة من طرق التّعبير أو أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير"[4]

الصورة الشعرية هي انعكاس لنفسيّة الشاعر وتظافر للعديد من العناصر، التي ينهل الشاعر من نبعها، من بينها الخيال والرمز والأساطير... لتكون الصورة بذلك أكثر تأثيرا، وهي جزء لا يتجزّأ من القصيدة، وترتبط بكل عنصر فيها، حيث يستخدم الشاعر في الصورة جميع الوسائل التّعبيرية الممكنة و" طاقات اللغة وإمكاناتها في الدّلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والتّرادف والتّضاد والمقابلة والتّجانس وغيرها من وسائل التّعبير الفنيّ"[5]

وقد تنوعت أشكال الصورة الشعرية في قصيدة " لحيلح" وتعدّدت دلالاتها وخلفياتها وشيفراتها التي سعى الشّاعر لنقلها إلى القارئ من خلال الصور التي نسجها من خيوط عديدة متلونة ومتنوعة كتنوع تجربة الشّاعر، ومنها:

1.2 الصورة المشهديّة:

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

هي لوحة فنيّة تطغى عليها ألوان السّرد وملامح الدّرامية، يقوم الشاعر فيها بعرض المشاهد، ويجعل القارئ يستمتع بمشاهدتها في مخيلته وهي " مشهد تصويريّ تتالى فيه الصور وتتراكم بطريقة ملحمية يكون للسرد فيها أثره الأكبر، فيأتلف من ذلك مشهد شعري وصفي، يقدّم رؤية فكريّة ورؤيا حلميّة ملحمية يمتزج فيها الكابوس والأسطورة "[6]

لعلّ خير مثال عن الصورة المشهديّة يتجلى في هذا المقطع:

" وبقيت وحدك في المطار.

والضوء يُطفأ، والظلام على انتظار والدّجى والطير طارْ.

تلهو بأعقاب السّجائر والثقابْ.

بين التّمخط والتّمطط ينقضي الليل المعرَّبُ، والعروبة في اجتماع في إطارْ (...) !

والطّير طارْ.

وبكيت وحدك في المطارْ"[7]

يصور الشّاعر في هذا المقطع مشاهد دراميّة كلّها ألم وخيبة، يعبّر فيه عن مدى وحدته ومرارته، فهذه الصورة عبارة عن مجموعة من الصور المتتالية والمترابطة التي يسرد فيها الشاعر حالة الفلسطيني الذي ظلّ وحيدا يقاوم ، ليقف "لحيلح" حائرا وضائعا أمام هول هذه المشاهد، فقد أجاد التشبيه حين جعل المواطن الفلسطيني يحاكي المسافر الذي ظلّ وحده يبكي في المطار، مضمّدا جراحه بيديه الدّاميتين يواجه مصيره المجهول بمفرده...هذه الصّور كأنّها تجسيد لكوابيس وتداعيات قد راودت الشّاعر وتمخضّت في مخيّلته فتشكلت كقصّة محزنة، أو ملحمة سردها الشّاعر في صور متتابعة، جعلها تمرّ أمام أنظار القارئ كشريط سنيمائيّ مرعب، قدّم فيها رؤيته الفكرية حول القضية الفلسطينية، فلم يكتف الشاعر بسرد الواقع فحسب، بل عبّر عن مشاعره وإحساسه العميق تجاه الفلسطينيين، ووظف موتيفات من وحي خياله، كما ضمّنها رؤيته الأيديولوجية وعبّر عن نزعته القوميّة، ففلسطين قضية كل عربيّ، وجرحه الذي لا يلتئم وعبّر الشاعر عن هذا الألم المشترك وأعلن من خلال هذه الصورة رفضه لهذا الواقع الصعب.

لقد ختم الشاعر صوره برحيل الفلسطينيّ المكافح بحثا عن طريق الحرية والخلاص لعلّه يجد مهديّه المنتظر ليخلّصه ويكسر أغلاله التي تكبّله، أو يستمر في ضياعه في متاهة مصيره المجهول.

يواصل الشّاعر صوره المشهديّة، المليئة بالسوداوية والكآبة والعجز، يرسمها بألوان بالية باهتة:

" نسخوك أنت بما تكدّس في المحاضر من حروفْ.

نسخوك وحدك بالدّرابك والدّفوف.

أوَ ينسخ السيف المعرّى في الهجير كما القديفة في الظلام؟

أوَ ينسخ الجسد الملّغم بالطوى في أيّ وقت قابل للانشطارْ.

والطير طارْ.

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

وبقيت وحدك في المطارْ."[8]

يصور الشاعر مشاهد تراجيديّة لما يعانيه الفلسطينيّ كلّ يوم من اعتقالات عشوائية وقهر وحصار... ليظلّ الفلسطيني يبحث وحيدا عن ملجأ له وملاذ يحميه من طلقات الرصاص ،كذلك تظلّ تساؤلات الشّاعر تنهال عليه متعجبا ومتحسرا.

نجد الشاعر في هذا المقطع ينحرف عن الصور المألوفة، ويبتعد عن التشبيه وضروب البيان المعهودة، فحالته النّفسية وحياة الحصار في فلسطين يصعب التعبير عنها بواسطة اللغة العادية (الجسد الملّغم بالطوى/ السيف المعرّى/ قابل للانشطار)، ففي نظر الشاعر البلاغة عاجزة عن وصف ما يمرّ به الفلسطيني.

كلّ صورة تنفرد بوصف جانب من مأساة الفلسطيني المخذول، وتنتهي دائما ببقائه وحيدا في المطار، وقد نهشه الانتظار، مشاهد صورها الشّاعر مصدرها الخيال والتداعيات والأحلام، فكان المطار ركحا للأحداث، التي بطلها الوحدة والخيبة والحيرة، لتجسد رؤية الشّاعر وتجربته الشعورية، وكي تكون الصورة الوسيلة التي " يشكل الشاعر أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فنيّ محسوس، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود وللعلاقات الخفيّة بين عناصره ".[9]

الصورة المشهديّة عند " عيسى لحيلح " كالعدسة التي تلتقط مشاهد معاناة الفلسطينيين وتصورها، وينسج خيوطها من السّرد والخيال، ليحكي تفاصيل قصة واقع مرير، وتراجيديا شعبٍ أصبح دخيلا وغريبا في وطنه، وقد نقلها الشّاعر ومثلها في قصيدته.

2.2 الصورة الرمزية:

من أهم قضايا الشّعر العربي المعاصر استلهام الرمز والتّعبير من خلاله عن الأفكار والمشاعر، وللرمز خلفيات متنوعة وثرية، وله أطراف في شتّى فروع المعرفة كالدين والأنثروبولوجيا وعلم النّفس وعلم الاجتماع والفلسفة، لذا فهو يضفي دينامية وتكثيفا دلاليا على القصيدة.

لقد أصبحت الصّورة الشّعرية في الشّعر المعاصر أكثر تنوعا وثراء، كما ابتعدت عن الجمود والتّصوير الفوتوغرافي والمحاكاة للعالم الخارجي، بل أصبحت تصور عالم الشّاعر النّفسي وتبوح بمكنونات وخفايا نفسه، وأصبح الرمز بشتى أنواعه عنصرا هاما في بلورة الصورة وتشكيلها.

لقد لجأ الشعراء المعاصرون إلى الرمز لتحقيق غاياتهم الجمالية وإضفاء هالة من الغموض على نصوصهم وجعلها متعدّدة القراءات والتأويلات.

فالشّاعر ينهل من اللّغة والتاريخ والأسطورة وغيرها حتى يشكّل صوره الرّمزية، فهو لا ينتقي أساليب التعبير الصّريحة، فيستحضر الرّمز حتى يكسب قصيدته مسحة من القداسة والضّبابية، ويمنح المعاني أبعادا جديدة واختلافا لأنّ " التّصوير بوساطة الرّمز يدخل في عداد التّصوير غير المباشر".[10]

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

لقد توطّدت العلاقة بين الشّعر والرمز، وتوظيف الرمز في الشعر ليس ظاهرة دخيلة، فالرمز كان مرتبطا بالشعر منذ خطواته الأولى، والرمز ما هو إلا شكل من أشكال التعبير بالصورة، وحين يميل الشاعر إلى تعتيم نصّه ويتجنب الوضوح، يتعامل مع الرمز كونه معادلا موضوعيا لتجاربه التي يسقطها على الرمز.

ويشكّل الشاعر الصورة الرمزيّة كي يشحن شعره بالدّلالات العميقة التي ترتبط بطبيعة " تفكير الشعب بنوع خاص، وإنا لنجدها في أغاني الشعب وأساطيره ورواياته المتوارثة وفي التّعابير الدارجة والحكم المأثورة ...". [11]

تتشكل الصورة الرمزية من الرمز الذي مصدره الشعب فقد يستوحيه الشاعر من كل المعارف التي تتعلق به أو قام بإنتاجها " فهو يأسرهم ويجذبهم إليه بقوة خفية لا تجذبهم بها الحقيقة الواقعة". [12]

يسافر بنا الرمز عبر الزمن، فهو يجمع بين العالم الواقعي الحقيقي وبين عالم خيالي من توقيع الشاعر وتتضافر العديد من العناصر لتشكيله، وهو حبل سُريّ يربط بين الماضي والحاضر، من خلال الشّخصيات التاريخية والتراثية والأساطير التي يحملها في جعبته، ويبحر بالقارئ في دهاليز الذاكرة، فالصورة الرمزية تعيد خلق اللغة من جديد، وهو دعوة من الشاعر لبعثرتها وإعادة لملمتها وتشكيلها مرّة ثانية، وتجعل القارئ يطارد معانيها الهاربة، ويفك شيفراتها ويحاول تبديد ضبابيتها وغموضها، وقصيدة "عيسى لحيلح" حبلى بالصور الرمزية المتنوعة، التي جمعت بين التّاريخ والأسطورة والأدب والموروث، ومنها:

" والطير طار

وبكيت وحدك في المطار

"قابيل" خلفك والغراب

لا ملجأ للّاجئين، من الدّمار إلى الحصار إلى الخراب

لا ملجأ للنّازحين من "القطاع" إلى سراب البدو لا خبز هنا ولا شراب

لا شيء .. سيفك غار فيك

لا تتّكئ.. "[13]

قابيل اســـم قديم قدم البشـــرية، رمز يعبر بنا عبر متاهات الذاكرة، فيتبادر إلى ذهننا أول جريمة في التاريخ، ومأســاة الأخوين قابيل وهابيل، والتي ورد ذكرهما في التوراة وفي القرآن الكريم، وكل من القصــتين تشــترك تفاصــيلها وتتمحور حول جريمة القتل التي ارتكبها المجرم قابيل الذي قتل أخاه هابيل الضـحية بدم بارد ودفنه تحت التراب، وهذه الجريمة الشنعاء كان سببها غيرة وحسد قابيل من أخيه هابيل كما روت ذلك التوراة وكما جاء ذكره في القرآن الكريم .

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

أما في قصيدة الشاعر "لحيلح" فقد نقل قابيل إلى أبعاد زمنية ومكانية جديدة، وجعله قابيل هذا العصر، وصبغ قضية الإخوة الأعداء بطابع فلسطيني، ولونه بألوان سياسية ومنحه أبعادا إنسانية، عبّرت عن تعاطفه مع الفلسطينيين، وسافر بنا الشّاعر من خلال رمز قابيل إلى الماضي التّليد، وإلى مسرح أول جريمة في التاريخ، مصوّرا لنا صورة القاتل والقتيل لهذا العصر، فقابيل وهابيل قد أصبحا رمزا للجاني والضّحية عبر الأزمنة، وقد قام العديد من الشعراء باستلهام شخصيتهما في قصائدهم، وقد تمكن الشاعر من الجمع بين فضاءين، فضاء قديم يعود لآلاف السنين وفضاء العصر الراهن، حيث جعل قابيل الذي سلب هابيل حياته رمزا لكلّ مجرم وقاتل ومستعمر في كل زمان ومكان، وكل من تعاون ضد فلسطين كالغراب الذي علّم قابيل كيفية دفن هابيل، وكتم صوت الفلسطينيين وألمهم وصرخاتهم وحاول طمس قضيتهم ويجعلها نسيا منسيا، فالغراب يعتبر امتدادا لكل من استهان بجرح فلسطين ومأساتها وتجاهلها.

لقد أعاد الشاعر بعث شخصية قابيل التي لطالما ارتبطت بالغدر والقسوة والخيانة للأخ، وألبسها رداء هذا العصر، وعبر بها عن مأساة فلسطين، ففي كل زمان قابيل الذي ترك أحفاده المجرمين:

" أوَ كلّما قبروك في جسد الشّهيد، وحطّموا الدّنيا عليك طَلَعْتَ من بين الخرائب كاالعُزَيْر...؟

أوَ كلّما نثروا رمادك في وجوه الذاهبين إلى الجحيم نَطَقْتَ: لا!

وبحثت عن حجر يقاسمك المصير؟

أوَ كلّما عشق الشقيّ شقية كنت الذّبيحة والوليمة والفطيرْ؟

أوَ كلّما ضحك الملوك مع الملوك تكون أنت فكاهة أو نكتة الزّمن الأخير!

صدى المسدس والرّصاص.

ولسانك الدّامي تمرّأ في الحديث عن الخلاص!" [14]

يرسم الشاعر في هذه الصورة الرّمزية لوحة الخلود والصّمود لفلسطين، ويمنحها إكسير الحياة، فيجعل هذه الصورة تنبض وتشعّ بالدلالات والايحاءات التي كان فيها خيال الشاعر المطيّة التي استحضرت العديد من الرموز منها "عزير" رمز دينيّ شاع ذكره في شعرنا العربي المعاصر، وهو رجل صالح من الشخصيات الدينية التي حظيت بالقداسة والإجلال، وذكر في القرآن الكريم في سورة البقرة في قوله تعالى "أوَ كالذي مرَّ على قرية وهي خاويةٌ على عروشها قال أنّى يحيي هذه الله بعْد موتها فأماته الله مائة عام ثمّ بعثه"[15].

أمات الله عزير مائة عام ثم أحياه، كما ذكر باسم لعازر في انجيل يوحنا وهو من أساطير المسيح " الذي أحياه المسيح بعد موته، وقد شاع توظيف لعازر رمزا للبعث والحياة بعد الموت في الشعر المعاصر"[16]

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

قد يحيل رمز عزير على دلالات وإيحاءات مرتبطة بأساطير البعث التي عرفتها العديد من الحضارات كأسطورة تموز وعشتار، أسطورة الشقاء الأبدي والتجدّد بروموثيوس والأسطورة الفرعونية إيزيس وأوزيريس وغيرها من الأساطير التي توحي بالبقاء والصمود والعودة للحياة والخلق...

فالشّاعر في هذه الصورة جعل الفلسطيني يبعث مرة أخرى، فاليهود يظنون بقتلهم للفلسطينيين أنّهم سوف يتمكنون من اجتثاثهم، لكنّهم يعودون كل مرة، ويخلقون من رمادهم، فالرماد هو موتيف ارتبط خاصة بأسطورة العنقاء أو الفينيق أو فينيكس، وهي أسطورة واحدة اختلفت مسمياتها، وهي أيضا تعدّ من أساطير البعث، وقد شاع استلهامها في الشعر الفلسطيني، ويوحي رمز العنقاء الأسطوري بالبعث والتحدي والعودة للحياة من جديد " هذا الطّائر كلّما أدركه الهرم يحرق نفسه ثمّ ينبعث من رماده فتيًّا قويًّا، فهو رمز التّجدّد والانبعاث، ولذا فإنّ الاحتراق رمز مركزي في القصيدة "[17]

يحيل الرماد على الاحتراق الذي يحمل معنى القوة، والنار تهلك وتفني كل شيء، والبعث من الرماد، صمود وصبر الفلسطينيين على أوجاعهم، وإيمانهم بتحقّق الخلاص " تسهم أسطورة العنقاء التي تموت ثمّ يلتهب رمادها فتحْيا ثانية في تأكيد هذا المعنى أو الأمل المتوخى عند الشّاعر، فموت العنقاء وانبعاثها إشارة رمزيّة إلى ضرورة الاقتناع بالتّضحية من أجل النّجاة والخلاص "[18]

ودلالة الفينيق مليئة بالإيحاءات والمعاني العديدة، فلولا المشاق والصّعاب لما تحقّقت الآمال والأحلام، والتّضحية تتطلّب التطّهر الذي لا يكون إلاّ بالاحتراق والالتهاب والفناء ثمّ العودة للحياة من جديد.

لقد أصبح الفلسطيني رمزا للتّحدي والصمود، يعادل رموز البعث والتجديد، التي رسم الشاعر من تفاصيلها لوحة الخلاص والانتصار.

3. اللغة الشعريّة:

يتوسّل الشّعر من اللّغة مادته الخام التي يصقلها كيفما شاء، لأنّها الوعاء الذي يحمل أفكار الشاعر، وهي النّهر الذي يغرف منه ليعبّر عن تجاربه وعن علاقاته، فيهدمها ويعيد تركيبها وتشكيلها من جديد " فالشعر خرق للنظام المألوف للغة، وإعادة كتابتها ضمن منهجية متميزة تحقق مردودا نفسيا بوتائر عالية عند المتلقي، وتترك لديه انفعالا يشدّه إلى معاودة القراءة والتفاعل مع النّص حيث يجد مناصا من التفكير بالوحدة المحدثة التي يراها على خلاف ما كان يراه في واقع اللغة المباشرة، لذلك يكون التعبير بالصورة الشعرية نوعا من الارتقاء باللغة في مدارج الخيال للاستحواذ على انفعالات المتلقي "[19]

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

تحمل اللغة الشعرية في طيّاتها السّحر والإيحاء والترميز، ودفق الخلجات والخواطر، والتأثير وسلب النفوس، ولتجسيد اللّغة الشّعرية لا بدّ من اللهو بالكلمات، وتشكيلها بطريقة مميزة، ويجعلها الشاعر تتهادى بين الإفصاح والكتمان، وتغري القارئ وتوقعه في شباك النّص، فتتحول القصيدة إلى واقعة غزليّة، تفتن القارئ، من خلال اختراق نظام اللغة المألوف، والانزياح عنه، وتجعله يشارك الشاعر في قصيدته.

إن لغة الشعر لغة منفتحة على العالم والخيال والفكر والحضارات، هي لغة الابداع والخلق والتجديد، تمنح النّص هوية متفردة ومختلفة، فالشاعر " لا يملك إلا اللغة، ولذلك فهو مضطر إلى جعلها تتكيف على يديه، ليصوغ منها كل الوسائل الأخرى، كالصور الشعرية والإيقاع الموسيقي والأفكار والمعاني " [20]

اللغة الشعرية لغة متمادية ومتمردة، تقطع علاقتها بكل ما هو عادي ومألوف، تشيد لنفسها أسوارا عاتية، تكسر قواعد التركيب، وتخلق قوانينها الخاصة التي تنبع من هموم العصر، فتمنح الألفاظ معاني جديدة تتجاوز معانيها المعجمية، وتكسر العلاقة المتعارف عليها عصورا بين الدال والمدلول.

ليس الهدف من اللغة الشعرية التواصل، فهي لغة فنية راقية ومتعالية، فالشّعر تجربة إنسانية سامية وخلاقة، تزدحم بالمشاعر والعواطف، تترجمها اللغة وتصقلها " إنّ الشعر تعامل مع اللغة يسمو ويتألّق بمقدار سمو وتوهج المعاناة لدى الشاعر الأصيل، ولمقدار عمق التجربة وأصالتها "[21]

اللغة الشعرية انعكاس لتجربة الشاعر ووعاء فكره، تجمع بين الثقافة والحضارة وتاريخ الأمم وتراثها، ولطالما كان باب اللغة مفتوحا للدلالات والمعاني الجديدة، فاللغة كائن حي معرض للتغير وللتطور عبر الزمن.

واللغة الشعرية تشكيل جديد للغة، والشاعر يعمل على ابتكار معجم خاص به، ومنحها دلالات جديدة، وهي مرآة لروح الشاعر التي تعكس صدق تجربته ومشاعره، وانكساراته وانتصاراته، وآلامه وآماله، وحالاته الشعورية المختلفة.

يتميز كل شاعر بطريقته الإبداعية وعبقريّته في خلق نظام من العلاقات التركيبية والدلاليّة بين الكلمات، وإحداث فجوة في اللغة العاديّة والارتقاء بها ليصنع بنفسه جماليّة هذه اللغة " فهي ترجمان لتصوراته وحساسياته، كما أنها صورة معبرة عن انشغالاته وهمومه الفكرية والنفسية والاجتماعية. والشاعر دائم الاختيار والانتقاء بين الألفاظ سعيا وراء ما يمكن أن يخدم مقصديته، ويقدم صورة تقريبية لما يعتمل في ذهنه وأعماقه".[22]

وقد أبدع شاعرنا "عيسى لحيلح" في خلق معجم شعري خاص به، له مفرداته وتراكيبه الخاصة والمرتبطة بثقافة الشاعر الشاسعة والمعبرة عن آرائه تجاه القضايا السياسية والاجتماعية.

ومن بين جماليات اللغة الشعرية في قصيدة " وبقيت وحدك في المطار":

1.3 المعجم اللّغوي:

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: EISSN : 2602-5388 ISSN : 9577-1112

كلّ شاعر يغرف من اللغة ما يعبّر به عن تجربته الشّعرية والشّعورية، وينسج من مفرداتها رؤيته، لذلك تهيمن مفردات دون أخرى على كلّ عمل شعريّ، ليصبح المعجم تلك البوصلة التي تقود القارئ نحو أفكار النّص ويكون بطاقة تعريف له " فإذا وجدنا نصّا بين أيدينا لم نستطع تحديد هويته بادئ الأمر فإن مرشدنا إلى تلك الهوية هو المعجم (...) فالمعجم لهذا وسيلة للتمييز بين أنواع الخطاب وبين لغات الشعراء والعصور، ولكن هذا المعجم يكون منتقى من كلمات يرى الدّارس أنّها هي مفاتيح النّص أو محاوره التي يدور عليها"[23] مكونا بذلك حقولا دلاليّة تشمل كلمات مختلفة تنتمي لنفس المجال، تربطها علاقة دلالية.

في قصيدة "عيسى لحيلح" تصادفنا حقول دلاليّة متنوعة، إلا أنّها تتشابك وتترابط فيما بينها، وتتراقص جميعا على أنغام الألم، تكسوها الضبابية والرمزية التي غدت سمة من سمات القصيدة المعاصرة، و"حقل الحصار" حقل بارز في هذه القصيدة حيث يضمّ العديد من الكلمات التي تصبّ في هذا المعنى، لأنّ الحصار العسكري والمعنوي سلّط على الفلسطيني المغلوب، وتداعيات هذا الحصار مادية ومعنوية نذكر من هذه الألفاظ التي تنتمي لحقل "الحصار" (الدّجى، الظلام، وحدك، الهجير، الطّوى، أضيق، الحزن، منفى، موت، خيامك، السّجون، اللاجئون، الملاجئ، الخراب، فوضى، كبّلوك...) وهناك مفردات ذات صلة مباشرة بحقل " الحصار" وأخرى غير مباشرة إلا أنّها تعبر جميعها عن المعنى نفسه ولعلّ ما يجمعها هو خيط شعوري واحد متمثل في الحزن والألم الذي يعيشه الفلسطيني تحت وطأة الحصار، يقول الشاعر:

" وبقيت وحدك في المطار..

واللاجئون من الملاجئ للملاجئ في انتظار قذيفة تضع النّهاية للرّحيل.." [24]

في هذا المقطع مجموعة من المفردات التي تحيل على حالة الحصار:

" وكبّلوك وسمّموا حسدا طعامك؟

واستدرجوك إلى فخاخ الآخرين، فمن حصار في الشمال،

إلى حصار في الجنوب، إلى الحصار في الحصار..

أو ليس من سخرية الأقدار أن تحيا اضطرار؟؛

والطير طار..

وبقيت وحدك في المطار.." [25]

تدلّ مفردات هذا المقطع أيضا على الحصار، إلا أنّها تفتح الباب للتعبير عن العديد من الدلالات والمشاعر التي يحس بها الفلسطيني في الحصار المفروض من جميع الجّهات، فتوحي بالضياع والخيبة والوحدة، والموت وحده هو الخلاص من هذا الحصار.

حقل دلالي آخر يتمثل في الخيانة والغدر، تنتمي إليه العديد من المفردات (قتلوا، قابيل، باعوك، يهودا، العميلة، الظنون، الغدر، الحسين، الخائنين...) تعجّ القصيدة بالمفردات الموحية بالغدر والخيانة.

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

لقد ضاق صدر الشاعر بوضع الفلسطينيين، فنزفت كلماته ألما ودما على مأساتهم، وقد طغى أيضا على قصيدته حقل الدّين، فالشاعر معروف بتعلّقه بالدين الإسلامي وتشبّعه منه، فلا يخلو مقطع من مقاطعها من المفردات التي لها صلة مباشرة بالأديان مثل (المآذن، القباب، المصاحف، قابيل، هابيل، الإله...).

ترتبط هذه الألفاظ بالدّين الإسلاميّ، وأخرى استحضرها الشاعر من كتاب التوراة، وهذا ما يدلّ على تأثّر الشّاعر بالموروث الدينيّ، لاسيّما ديننا الحنيف، والذي هيمن على لغته، وأضفى عليها جماليّة وقداسة على القصيدة:

" ويد تناضل بالمنابر والمنى، ويد تجاهد بالأظافر والمصاحف والفؤوس"[26]

كانت الحقول الدلالية انعكاسا للمشاعر التي تزاحمت في نفس الشاعر وأرّقته، وصورت ما يعيشه الفلسطيني من حصار وظلم وقهر وممارسات لا إنسانية من طرف اليهود من جهة، ولامبالاة العرب من جهة أخرى، وتناسيهم للقضية الفلسطينية.

2.3 الاستفهام:

من المعتاد أنّ الاستفهام غرض إنشائي طلبي في البلاغة، والغرض الحقيقي منه هو معرفة الحقيقة وطلب الفهم والإيضاح ومعرفة ما هو مجهول بالنسبة للسّائل، عندما يكون هدفه التواصل وطلب الإجابة، إلا أنّ الاستفهام قد يحيد عن هذا الغرض الأصلي، ويحمل بين طياته أغراضا ومعاني أخرى، أو يرمي لهدف يريد الشاعر بلوغه كالسّخرية أو النّفي أو الاستنكار والتعجب، أو التحقير وغيرها من الأغراض المجازية الأخرى.

وهذا ما يضفي على أساليب القصيدة مسحة جمالية، تكمن في دعوة القارئ للتفكّر والتّدبر والبحث عن مقصدية الشاعر.

وقد طرح الشاعر "عيسى لحيلح" في قصيدته العديد من الأسئلة، ومن ذلك قوله:

"و بقيت وحدك غائما، تتصفح الصحف الموجهة العميلة لليسار ولليمين وللوسط..

لغطُ الحوار على المحاور قد سقط!

فإلى متى لست اليمين ولست اليسار ولا الوسط؟

وإلى متى لست الخليط إذا اختلط؟!

(...)

فإلى متى نبقى قطيعا في العراء بلا مُراح؟

وإلى متى تبقى ظلاما في الظلام بلا صباح؟

وإلى متى شعبا تترّس بالقبور وبالمجازر والكفن؟

ومواطنين بلا وطن؟؛"[27]

العديد من التساؤلات غير حقيقية طرحها الشاعر في هذا المقطع، امتزجت أغراضها المجازية بين الحيرة والتعجب والحسرة والضعف والانكسار، فهي تعبير عن مصير الفلسطينيين المعلّق والمجهول، وواقعهم يزداد مرارة وحصارا، فقد

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

سلبوا جميع حقوقهم الاجتماعية والسياسيّة، لاسيّما حرية الرأي والقرار... كلّ هذا القهر ضمنّه الشاعر في أسئلته التي عبرت عن انفعالاته وعواطفه ووقف عاجزا أمام هولها.

لقد جسّدت هذه التساؤلات الخيبة التي يشعر بها الفلسطيني والمعاناة التي يعانيها، حين أصبحت فلسطين مقبرة تكتظّ بالجثث، ومواطنين بلا وطن، لم تجسد هذه التساؤلات مرارة الفلسطيني وحده، بل صورت ما يعتري الشاعر من قلق وريبة تجاه مصير الفلسطيني المجهول، وغضبه تجاه اليهود وما يمارسونه من ظلم وتجاهل لآلامهم، ومعاناة الفلسطينيين الذين أضحوا غرباء في وطنهم، ومن كان فيما مضى ضيفا ثقيلا أصبح مالكا لوطن ليس وطنه.

تستمرّ تساؤلات الشّاعر الجامحة:

"كم حاكما يا ابن النبيّ رأيتهم لك ساجدين، وكم "يهودا" قبلوك

وكبّلوك وسمّموا حسدا طعامك؟

(...)

أوليس من سخرية الأقدار أن تحيا اضطرار ؟؛"[28]

فلسطين البلد الموعود، مهبط الأنبياء والأديان، ومسرى الرسول محمد –عليه الصلاة والسلام–، تلك الأرض المقدسّة بقدسها، أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، جعلت الشّاعر الجزائري "عيسى لحيلح" يتساءل عمّن جعلها دامعة العينين سبيّةً، فعظمتها ومكانتها المقدسة في التاريخ لم تشفع لها ممّا تعانيه.

تدل "كم" في أسئلة الشاعر وتعبر عن الكثرة، وهذه الأسئلة تصور مدى حسرته ووجعه لآلام الفلسطينيين، وخيبته وغضبه وسخطه على الخونة.

4- جمالية المكان:

للمكان قيمة جمالية بالغة في الشّعر العربي المعاصر الذي لطالما ارتبط به منذ نعومة أظافره في العصر الجاهلي، فالشاعر القديم كان شديد التّعلق بالمكان يقف على بقايا الدّمن ويبكيها يمزّقه الألم لفراق أهاليها، لذلك قد حظي المكان بمكانة مهمّة في دراسة الباحثين والنقاد، فهو بالنسبة للشّعراء العرب المرجع لهم وهو بمثابة الهوية والانتماء والخلفية الثقافية التي يشترك فيها الشعراء العرب، حيث أن " الشاعر العربي الحديث بغض النظر عن توجهه وانتمائه في الكثير من المواقف الشعرية، لم تعد تحدّه الحدود الجغرافية الوهمية التي وضعها الاستدمار الغربي، فأضحت هموم كل الدول همومه، فمصر مرتبطة ببغداد وبغداد مرتبطة بدمشق وهكذا دواليك...فالروابط الدينية والإنسانية كانت أقوى من الروابط المكانية والجغرافية المحدودة"[29]

فرضت قضية الأمة العربية على الشعراء أن يتقاسموا الألم والجرح، والفخر بالأمجاد والبطولات القديمة، والقضية الفلسطينية تعدّ بالنسبة للعرب همّهم المشترك والقضية التي يحملها كلّ منهم على كاهله تحت لواء العروبة، وبغض النظر عن دينهم أو اتجاههم السياسي، فقد اعتبروا فلسطين موضوعهم الشعري الأول، وبلدهم الثاني الذي لا يملكون للدفاع عنه سوى كلماتهم التي تأنّ ألما وخيبة.

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

كذلك " الشاعر الجزائري كان شموليا في نظرته للمكان بغض النّظر عن الأهداف التي يتوخاها من توظيفه له، وعن الدّلالات والقيم التي يحملها كل عنصر مكاني في النّص، وقد كان المكان الجزائري في المرتبة الأولى...ثم المكان العربي (لبنان، فلسطين، العراق) في مرتبة الثانية"[30]

لم يكن الشاعر الجزائري بمنأى عن ساحة الأحداث، وقضايا الوطن العربي التي كلّ قلمه من التعبير عنها، لاسيما القضية الفلسطينية التي أخذت أكبر حيز في شعره، ولعله أكثر من يحسن التعبير عن ألم الحصار والدمار والخراب وسلب الوطن، فهو من عانى دهرا وضحى من أجل استرجاع وطنه.

فبهذه الطريقة يواسي الشاعر العربي والجزائريّ خاصة نفسه لعله يخفف من وجعه وقهره، وقد تختلف دلالة المكان من شاعر لآخر، فأحيانا يتحول المكان إلى رمز تاريخي " فالأوراس رمز الجزائر الشامخة، وانطلاق ثورتها الرائعة "[31]

أحيانا أخرى يحمّل الشاعر المكان معاني جديدة ويشحنه بالدّلالات الغزيرة والمتجددة، ليحقق جرعة جمالية عالية ومؤثرة، فهو يعبّر من خلاله عن مشاعره والمواقف والقضايا السياسية والاجتماعية التي تشغله " والمكان كذلك لا يقتصر على كونه أبعادا هندسية وحجوما، ولكنّه فضلا –عن ذلك –نظام من العلاقات المجرّدة يستخرج من الأشياء المادية الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني، أو الجهد المجرد "[32]

يرتبط المكان بمخيلة الشاعر ويحمله ذكرياته " فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي بل لكل ما للخيال من تحيز ".[33] كالأرض والوطن، أي له أبعاد نفسية وسياسية مرتبطة بالشاعر أو يكون من نسج خياله ومزج بين الواقع والخيال، وطريقة تشكيله تكون من خلال اللغة والخيال، لتجاوز الواقع.

يبدو الشّاعر الجزائري "عيسى لحيلح" شديد الارتباط بأرض فلسطين، رغم بعده عنها جغرافيا، تماما كغيره من الشعراء العرب " إذ كانت بلدانهم في المقام الأول ثم كانت القدس وفلسطين باعتبارها مكانين تاريخيين ويشكلان علامة زمانية وتاريخية مميزة فكثرت النّصوص الشعرية المتعلقة بهما إذ يتكئ معظم الشعراء العرب عليهما لينتشلاهما من هول النسيان " [34]

إلّا أنّها تحتلّ ذهنه وذكرياته وواقعه، فأحداث القصيدة تدور في المطار؛ المكان الذي اختاره الشاعر لينقل حبيبته فلسطين إليه:

" وبقيت وحدك في المطار.

والضوء يطفأ، والظلام على انتظار والدّجى والطير طارْ.

تلهو بأعقاب السّجائر والثقاب.

وتنشّ عن عينيك أسراب الذّباب.

بين التمخّط والتّمطّط ينقضي الليل المعرّب، والعروبة في اجتماع في إطارْ (...) !

والطير طارْ.

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

وبكيت وحدك في المطارْ"[35]

يوحي المطار بالمغادرة والفراق والرّحيل، المكان الذي تجتمع فيه الكثير من البلدان العربيّة، فربط الشاعر بين فلسطين والمطار، فأبناء فلسطين غادروها مُكرهين، من بطش المستعمر الغاصب اليهودي، والبقيّة سفكت دماؤهم على أرضهم، وغيرهم تحت وطأة الحصار، يتجرّعون الظلم منتظرين قذائف اليهود المدوية التي اعتادوا عليها لتحصد أرواحهم، وتخفف عنهم ثقل الانتظار، فكما ينتظر المسافر طائرته ليغادر إلى وجهته، ينتظر الفلسطيني مصيره المشؤوم، ليبقى الفلسطيني في النهاية وحيدا في المطار.

مكان آخر استحضره الشّاعر في القصيدة:

" في ظلمة القبر الملبّس بالجليد وباليهود وبالمدى غَدَرَ الصحاب.."

القبر مكان موحش، يوحي بمعاني الخوف من المجهول والقلق والفزع، والموت، وهو طريق العبور، كما يوحي بالعجز والاستسلام واليأس، فلا مفرّ ولا مهرب من الموت والهلاك، وهو ما يشعر به الفلسطيني وهو تحت الحصار الذي يعيشه، فالحصار كظلمة القبر الموحش، يقبع فيه الفلسطيني وحيدا خائفا، مليء بصدى اليهود ووقع أسلحتهم.

استدعى الشاعر مكانا آخر، هو بيروت، بعد أن حزّت في نفسه الصورة التي آلت إليها وقد كانت فيما مضى جنة في الأرض:

" "بيروت" يا أبتي مدلّلة، مضلّلة، وأشأم من "بسوس"

"بيروت" أوراد السّما.. "بيروت" مزمور المجوس..". [36]

بيروت البلد الجميل السّاحر والعريق بتاريخه وأصالته وحضارته، رغم الكوارث ظلّ صامدا، ودوما كان يبعث من جديد، بيروت ابنة الحداثة والرقيّ أصبحت مثقلة بالهموم، أَفَلَ نجمها، وخفت وميضها، وأهلكت كاهلها الحروب ودنّست نقاءها الفتن، وقد كانت منارة العرب، ورمزا للسّلام والتّسامح الديني، فأصبحت جريحة وتشوّه جمالها، حيث شبه الشاعر ما حصل في بيروت بحرب البسوس التي التهبت نيرانها بين قبيلتين عربيتين، ولم تضع هذه الحرب أوزارها إلا بعد أربعين سنة...

تكمن جمالية الأماكن التي استحضرها الشّاعر والرموز المتعلقة بها في طريقة تشكيله لها، وربطها بالواقع الذي يعيشه العرب، وقد أبدع الشاعر في الأماكن التي وظفها، تلك التي منحها بعدا فنيا وجماليا، وما تحمله من مشاعر تنبع من روحه، وألمه ومرارته تجاه كل فلسطينيّ يعاني.

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

5. الاستنتاج:

لقد توصل الشاعر الجزائري "عبد الله عيسى لحيلح" إلى تحقيق العديد من الجماليات في قصيدته، وأهم هذه الجماليات التي بلغها الشاعر الصورة الشعرية التي تعدّ جوهر الشعر ولبّه، وصور لحيلح في هذه القصيدة نبضت بالحركة وأفعمت بالخيال والسرد، ورسمت بالألوان مشاهد من حياة الفلسطينيين المأساوية، كما استلهم الشاعر من الذاكرة الإنسانية والموروث العربي الكثير من الرموز التي اختارها قالبا لمشاعره وتجربته الشعورية تلك التي منحت قصيدته غموضا وبعدا جماليا.

كانت لغة الشاعر لا تعترف بالقواعد والقوانين المتعارف عليها، إنما تجاوزت جميع الحدود حين خلق الشاعر معجما لغويا وحقولا دلالية توحي بدلالات ومعاني غزيرة، يستمتع القارئ بها وتنقله لعوالم جديدة.

حين يكون العمل الشعري موضوعه فلسطين، فالمكان لبنة أساسية فيه، وكان المطار أبرز مكان تمحورت حوله قصيدة "لحيلح"، والذي عبر عن العديد من الدلالات والإيحاءات وكانت معظم المشاهد فيه، ليربط الشاعر عالمه الخيالي بواقع الحصار المرير في فلسطين.

لقد عبرت جماليات اللغة الشعرية والصورة الشعرية والمكان عن مواقف الشاعر السياسية الثابتة والتزامه بقضايا الوطن العربي الاجتماعية والسياسية والدفاع عنها بحمية في شعره، وتمسكه بقوميّته واعتزازه بعروبته.

6. خاتمـــــة:

إنّ قصيدة "وبقيت في وحدك في المطار" للشاعر الجزائري "عبد الله عيسى لحيلح"، مرثيّة الفلسطينيين وهم في التيه الأخير وعلى شفة حفرة من الضياع والهلاك، نفخ فيها الشاعر من روحه وخلّد في كلماتها نبضه العاتي في لحظة انكسار بطلها المرارة والألم.

– لقد أفلح الشاعر "عيسى لحيلح" في شحن قصيدته بالصور الشعرية المعبّرة، وقد تعدّدت وتنوعت، فكلّ مقطع منها كان يجسّد صورة من صور الحصار والدّمار والخراب، والغدر والخيانة، أما الصور الأكثر بروزا فكانت الصور المشهدية التي ميزها السّرد والدرامية، والصور الرّمزية، وكلّ صورة من الصور عمقّت تجربة الشاعر الشعورية من خلال استحضار رموز دينية وتراثية وتاريخية، استوعبت الأحاسيس الأليمة للشاعر تجاه الفلسطينيين.

– قام "عيسى لحيلح" بهدم اللّغة المعيارية وأعاد بناءها من جديد، فعبّرت لغته عن ألم ومرارة الشاعر تجاه الفلسطينيّ المحاصر، كما كان معجمه اللّغوي ذا صلة وثيقة بهذه المشاعر الأليمة، فاستحضر مفردات تنتمي إلى الحقول الدّلالية الموحية بالحزن والتفجّع، كما جسّد الاستفهام غير الحقيقيّ، المشاعر المكنونة والمزدحمة في صدر الشاعر، التي تهادت بين حسرة لما آلت إليه فلسطين من خراب ودمار، وغضب وخيبة، فكانت اللغة الشّعرية مؤثرة مفجرة للمشاعر.

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

– كان للمكان جمالية خاصّة أضفاها الشّاعر على القصيدة، من خلال طريقة تشكيله التي نسجها من مخيّلته الفضفاضة، وحمّله أبعادا سياسيّة واجتماعية ونفسية، ليصور بها واقع الفلسطينيين، كما أن المكان كان منبعا غرفت الصور الشعرية من معينه.

– تضافرت جماليات الخطاب الشعري المتمثلة في اللغة الشعرية والصور الشعرية والمكان مع جماليات أخرى لن تسعها هذه الأوراق البحثية، في خلق الجمالية في قصيدة " وبقيت وحدك في المطار"، والتعبير عن تعاطف الشاعر مع الشعب الفلسطينيّ.

لاتزال الكثير من المعاني والدّلالات والجماليات كامنة في أعمال الشاعر الجزائري " عيسى لحيلح " تحتاج للبحث والتنقيب.

7. الهوامش:

[1] – بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، 1994، بيروت، المركز الثقافي العربي، ص3.

– عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، القاهرة، دار غريب للطباعة، ص 66[2]

[3]– جابر عصفور: الصورة الفنيّة في التراث النّقدي والبلاغي عند العرب، 1992، بيروت، المركز الثقافي العربي، ص 14.

– المرجع نفسه، ص323.[4]

[5]–عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، 1978، بيروت، دار النهضة العربية، ص435.

[6] – هدية جمعة بيطار: الصورة الشعرية عند خليل حاوي، 2010، لبنان، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ص 102.

[7]– عبد الله عيسى لحيلح: وبقيت وحدك، د ب، دار السناء، 2018، ص 50.

[8]– المصدر نفسه، ص 50.

[9] – علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، القاهرة، مكتبة ابن سينا، ص 65.

[10] – سيجموند فرويد: تفسير الأحلام، تر: مصطفى صفوان، القاهرة، دار المعارف، ص358.

[11]– المرجع نفسه، ص 358.

[12]– عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ص139.

[13]– عيسى لحيلح: وبقيت وحدك، ص 53.

[14]– المصدر نفسه، ص 60.

– سورة البقرة، الآية 259.[15]

[16] – علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997ص 94.

المجلد: العدد: السنة: 2020 صفحات المقال: ISSN : 9577-1112 EISSN : 2602-5388

– يوسف حلاوي: الأسطورة في الشّعر العربي المعاصر،1994، دار الآداب، ص 231.[17]

[18]. كاملي بلحاج: أثر التّراث في تشكيل القصيدة العربيّـــة المعاصرة، قراءة في المكونات والأصول، 2004، دمشق، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 81.

[19] – هدية جمعة البيطار: الصورة الشعرية عند خليل حاوي، ص20.

[20] – محمد برونة، دوبلة عائشة، 2019. "جمالية اللغة الشعرية في الشعر الجزائري المعاصر"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، مجلد 08، عدد 03، ص 237.

[21] – الطاهر يحياوي: تشكلات الشعر الجزائري الحديث، الجزائر، دار الأوطان للنشر والتوزيع، ص 193.

[22] – محمد شداد الحراق: اللغة الشعرية وهوية النّص،2011، المغرب، ديوان العرب، ص 29.

[23]– محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، (استراتيجية التناص)، 2005، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص 58.

[24]– عبد الله عيسى لحيلح: وبقيت وحدك، ص56.

[25]– المصدر نفسه، ص 56.

[26]– المصدر نفسه، ص 54.

[27]– المصدر نفسه، ص 59.

[28]– المصدر نفسه، ص 56.

[29]– محمد الصالح خرفي جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، 2005–2006، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية آدابها، جامعة منتوري قسنطينة، ص 63.

[30] – محمد الصالح خرفي، 2005–2006. "جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر". لنيل شهادة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ص 63.

– محمد الصالح خرفي: جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، ص26. [31]

[32]– اعتدال عثمان: إضاءة النص (قراءة في الشعر العربي الحديث)، 1998، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص7.

[33]– غاستون باشلار: جماليات المكان، 2000، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 31.

– محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري، ص 30.[34]

[35]– عيسى لحيلح، وبقيت وحدك، ص 50.

[36]– المصدر نفسه، ص54.

8– قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 259.
2. الطاهر يحياوي: تشكلات الشعر الجزائري الحديث، الجزائر، دار الأوطاان للنشر والتوزيع.
3. اعتدال عثمان: إضاءة النص (قراءة في الشعر العربي الحديث)، 1998، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، 1994، بيروت المركز الثقافي العربي.
5. جابر عصفور: الصورة الفنيّة في التراث النّقدي والبلاغي عند العرب، 1992، بيروت، المركز الثقافي العربي.

6. سيجموند فرويد: تفسير الأحلام، تر: مصطفى صفوان، القاهرة، دار المعارف.
7. عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، 1978، بيروت، دار النهضة العربية.
8. عبد الله عيسى لحيلح: وبقيت وحدك، 2018، دار السناء، د ب.
9. عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي.
10. عز الدين اسماعيل: التفسير النفسي للأدب، القاهرة دار غريب للطباعة.
11. علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، القاهرة، مكتبة ابن سينا.
12. علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.
13. غاستون باشلار: جماليات المكان، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
14. كاملي بلحاج: أثر التّراث في تشكيل القصيدة العربيّــة المعاصرة، قراءة في المكونات والأصول، 2004، دمشق، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص 81.
15. محمد شداد الحراق: اللغة الشعرية وهوية النص، المغرب، ديوان العرب، 2011.
16. محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، (استراتيجية التناص)، المغرب، المركز الثقافي العربي، 2005.
17. هدية جمعة بيطار: الصورة الشعرية عند خليل حاوي، لبنان، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010.
18. يوسف حلاوي: الأسطورة في الشعر العربي المعاصر، دار الآداب، 1994.

المجلات والرسائل الجامعية:

19. محمد برونة، دوبلة عائشة، 2019: "جمالية اللغة الشعرية في الشعر الجزائري المعاصر"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، مجلد 08، عدد 03.
20. محمد الصالح خرفي، 2005-2006: "جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر"، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.